حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم

أسباب الوصول إلى فهم كتاب الله:

- التبحر في العلوم.
- تقوى الله في السر والعلانية.
- إجلاله عند مواقف الشبهات.
- أن يلقى له السمع وهو شهيد

اللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد حيث تكون:

- الحقائق: للأنبياء وهي الاستسلام.
- اللطائف: للأولياء وهي المشاهد.
- الإشارات: للخصوص وهي للعقل.
- العبارات: للعموم وهي للسمع.

للكل وصف ظاهر وباطن وحد ومطلع حيث يكون:

- الظاهر التلاوة.
- الباطن الفهم.
- الحد إحكام الحلال والحرام.
- المطلع أي الإشراق من الوعد والوعيد.

الروايات:

في صحيح ابن حبان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن".

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها".

وقال ابن مسعود: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن".

قال الإمام الزركشي:

- بالجملة تكون العلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وإن في القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله.
- فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً، المنقول من ظاهر التفسير لا ينتهي الإدراك فيه بالنقل.
- السماع لا بد منه في **ظاهر التفسير** ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك **يتسع الفهم والاستنباط**.
- ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد من استماع كثير لأن القرآن نزل بلغة العرب.

من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً.

- الإحاطة بظاهر التفسير -وهو معنى الألفاظ في اللغة- لا يكفي في فهم **حقائق المعاني**.

مثال ١ {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة فإنه إثبات للرمي ونفي له.

مثال ٢ {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم} فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله تعالى هو المعذب وإن كان تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال!

فحقيقة هذا تستمد من بحر علوم المكاشفات فلا بد أن يُعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة، وتفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى، حتى تتكشف وتتضح، **فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم** بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ

- يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير، قال أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا **فقد صح من ذلك كثير.**
- مثاله: تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} وتفسير الحساب اليسير بالعرض رواهما البخاري

الثاني: الأخذ بقول الصحابي

- منزلته:
  - تفسيره بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره
  - أخرج ابن جرير عن مسروق وقال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.

قال أيضاً: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن.

صدور المفسرين من الصحابة: علي ثم ابن عباس -وقد تجرد لهذا الشأن والمحفوظ عنه أكثر من علي وكان أخذ عن علي- ويتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص وكل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم.

أقوال التابعين وطبقات المفسرين:

غالب أقوالهم تلقوها من الصحابة ولعل اختلاف الرواية عن أحمد إنما هو فيما كان من **أقوالهم وآرائهم**

تفاسير **تجمع أقوال الصحابة والتابعين** مثل تفسير:

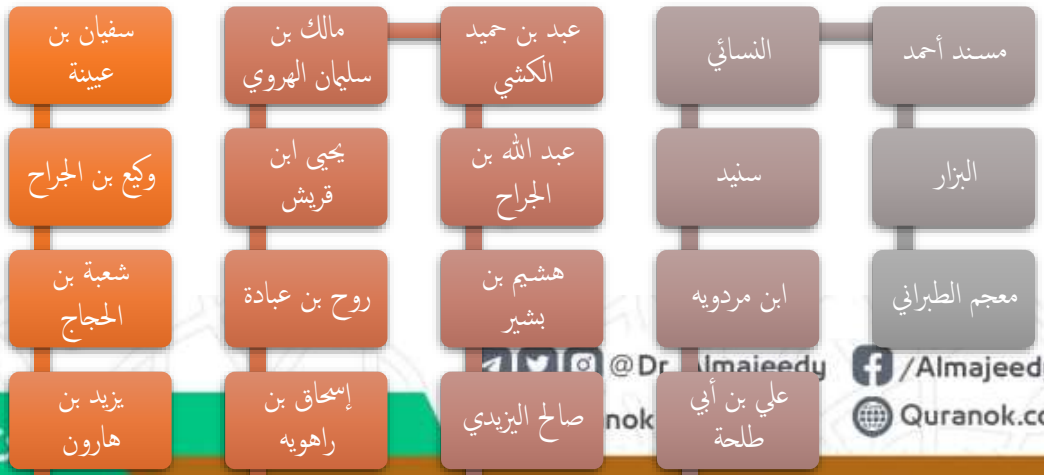

ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع على الناس أشتات التفاسير وقرب البعيد وكذلك أبي حاتم الرازي ومن تبعهم كابن عطية

الواجب ملاحظته عند نقل أقوال المفسرين

عبارات المفسرين في معنى الآية تتباين في الألفاظ وقد يظنه مصنفوا التفسير اختلافاً فيحكونه أقوالاً وليس كذلك، وصورها:

الاقتصار على معنى معين ظاهر أو أليق بحال السائل	الإخبار بمقصود الشئ وثمرته	الإخبار بنظير الشئ	الإخبار بلازم الشئ	ذكر الشئ على وجه التمثيل

التعامل مع الاختلافات: الجمع، فأما إذا لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه إن استويا في الصحة وإلا فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة

نزل القرآن {بلسان عربي مبين}، وقد ذكر مأخذ اللغة جماعة ونص عليه أحمد بن حنبل، وروايته الثانية في الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة.

روى البيهقي عن مالك بن أنس قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع

هذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

روى البخاري عن علي: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل.

❋ قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل فالنزول قد مضى والتنزل باق إلى قيام الساعة.

❋ **لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل** لقوله تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم} وقوله: {وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} وقوله: {لتبين للناس ما نزل إليهم} **فأضاف البيان إليهم**، عليه حملوا قوله ﷺ: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار".

❋ قوله ﷺ: "من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقال: غريب.

١. قال البيهقي هذا إن صح فإنما أراد -والله أعلم- الرأي الذي **يغلب من غير دليل قام عليه** فلا يجوز الحكم به في النوازل دون برهان

٢. قد يكون المراد من **قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه** فتكون موافقته للصواب وإن لم يعرفه غير محمودة.

٣. قال أبو الليث: النهي إنما انصرف إلى **المتشابه منه** لا إلى جميعه كما قال تعالى: {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه}.

❋ الطريق والنهج:

- أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة.
- معرفة ناسخه ومنسوخه.
- سبب نزوله.
- ما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من سنن رسول الله ﷺ ما يكون تبياناً لكتاب الله، قال الله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}
- ما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفاية عن ذكره من بعده.
- ما لم يرد عنه بيان ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد.

في الحديث أن النبي ﷺ قال: " القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه"

قوله ذلول يحتمل وجهين:

- أحدهما: أنه مطيع لحامليه ينطق بألسنتهم.
- الثاني: أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين.

قوله: " ذو وجوه" يحتمل معنيين:

- أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل.
- الثاني: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم

قوله: " فاحملوه على أحسن وجوهه" يحتمل أيضا وجهين:.

- أحدهما: الحمل على أحسن معانيه.
- الثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله.

سؤال: هل يجوز لكل ذي علم الخوض في تفسير القرآن: يجيب الراغب في مقدمة تفسيره باختلافهم:

القول الأول: من بالغ ومنع الكلام ولو تفنن الناظر في العلوم واتسع باعه في المعارف إلا بتوقيف عن النبي ﷺ أو عمن شاهد التنزيل من الصحابة أو من أخذ منهم من التابعين واحتجوا بقوله ﷺ: "من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ" وفي رواية: "من قال في القرآن برأيه فقد كفر"

القول الثاني: إن كان ذا معرفة وأدب فواسع له تفسيره واحتجوا بقوله تعالى: {ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب}.

أقسام التفسير

عن ابن عباس أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام:

قسم تعرفه العرب في كلامها.	قسم لا يعذر أحد بجهالته يقول من الحلال والحرام.	قسم تعرفه العرب في كلامها.	قسم لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب.

الأول: الذي تعرفه العرب:

- اللغة والإعراب: أما اللغة: فمعرفة معانيها ومسميات أسمائها والاستشهاد من الشعر، أما الإعراب فمنه المحيل والغير محيل للمعنى
- إذا كان التفسير راجعاً إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب.
- ليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من القرآن ولا يكفي تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم معنى واحد.

الثاني: ما لا يعذر واحد بجهله:

- هو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً.
- هذا القسم لا يختلف حكمه ولا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} ونحوها من الأوامر.

الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى

- هو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة قيام الساعة ونزول الغيث وما في الأرحام وتفسير الروح والحروف المقطعة.

كل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا **بالتوقيف** من أحد ثلاثة أوجه:

نص من التنزيل | بيان من النبي ﷺ | إجماع الأمة على تأويله

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات فهو مما استأثر الله بعلمه

الرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء

هو الذي يغلب عليه **إطلاق التأويل** وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط ب:

- استنباط الأحكام.
- بيان المجمل.
- تخصيص العموم

كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي **لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه**.

على العلماء **اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه**.

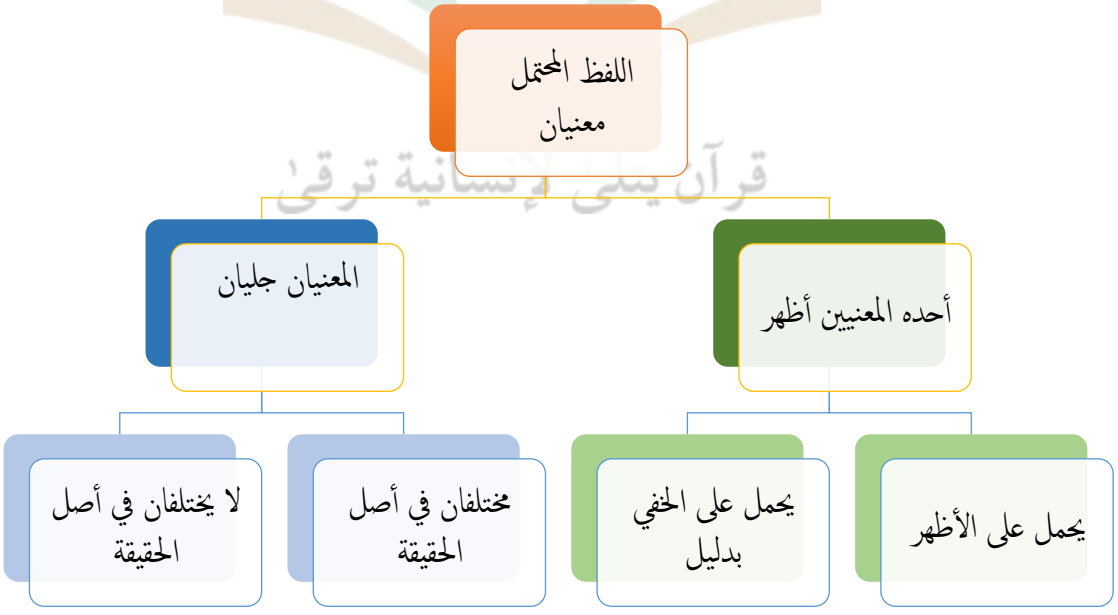

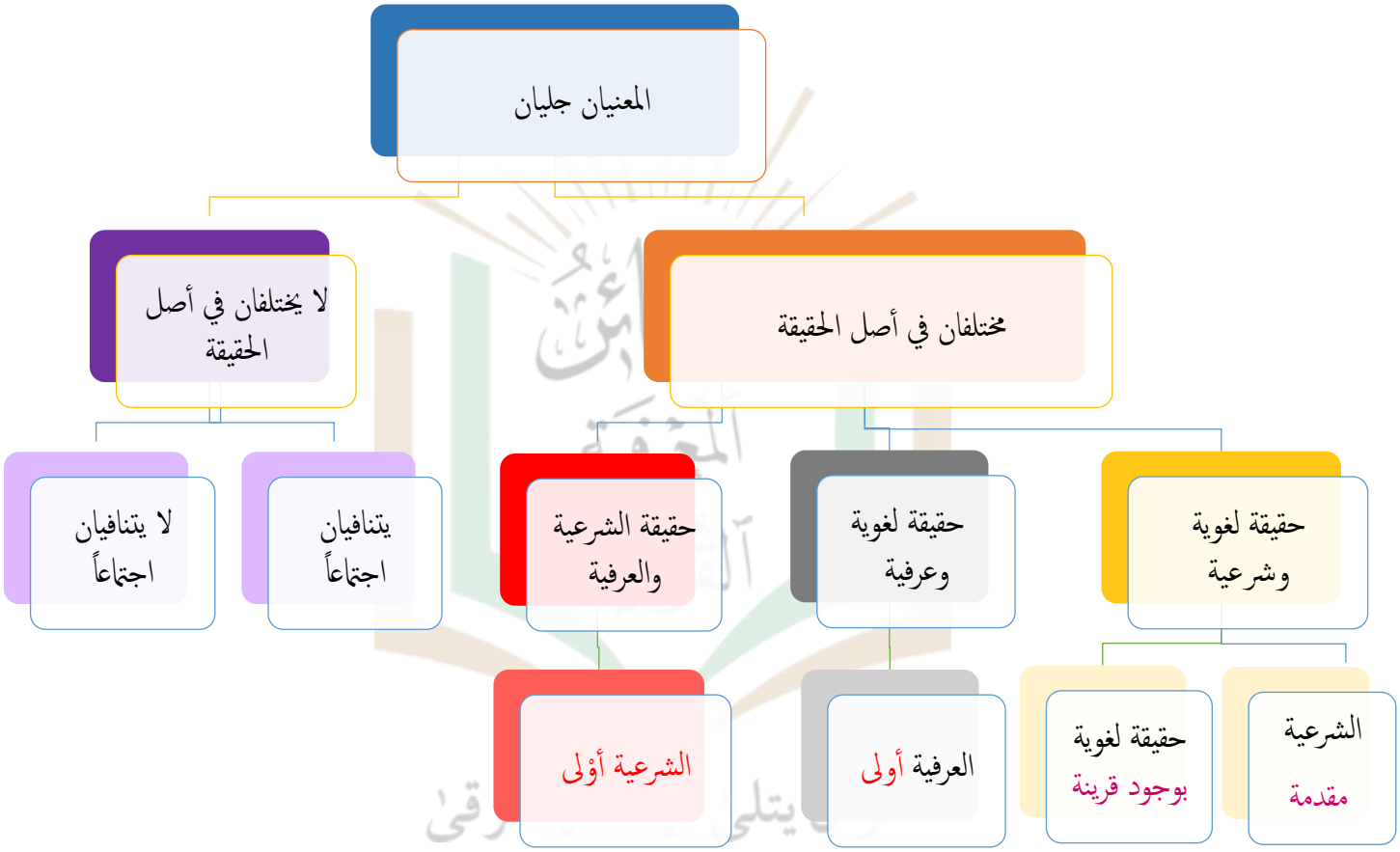
المعنيان جليان
مختلفان في أصل الحقيقة
لا يختلفان في أصل الحقيقة
حقيقة لغوية وشرعية
حقيقة لغوية وعرفية
حقيقة الشرعية والعرفية
يتنافيان اجتماعاً
لا يتنافيان اجتماعاً
الشرعية مقدمة
حقيقة لغوية بوجود قرينة
العرفية أولى
الشرعية أولى

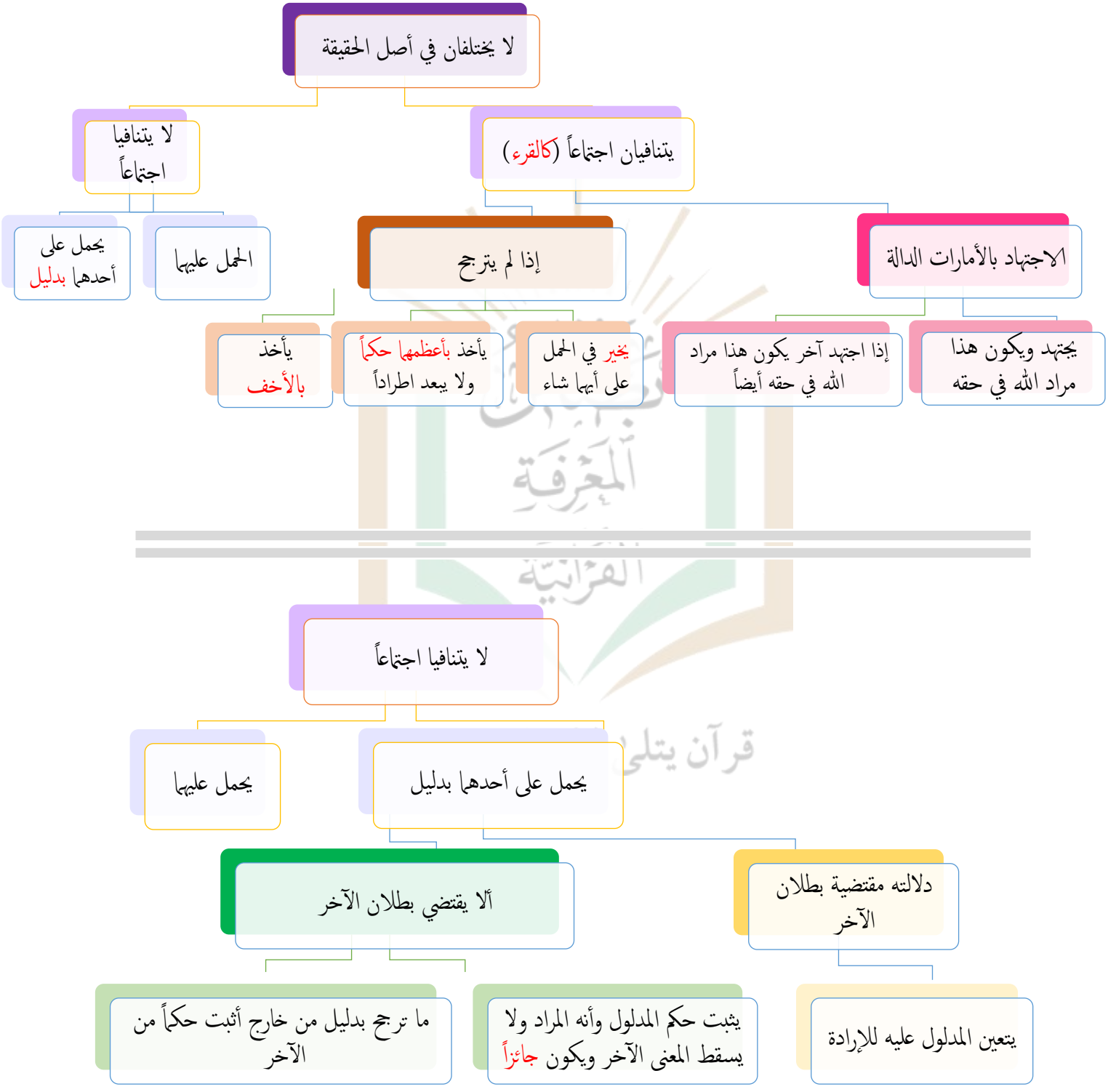
لا يختلفان في أصل الحقيقة
يتنافيان اجتماعاً (كالقرء)
لا يتنافيا اجتماعاً
الحمل عليهما
يحمل على أحدهما بدليل
الاجتهاد بالأمارات الدالة
إذا لم يترجح
يجتهد ويكون هذا مراد الله في حقه
إذا اجتهد آخر يكون هذا مراد الله في حقه أيضاً
يخير في الحمل على أيهما شاء
يأخذ بأعظمهما حكماً ولا يبعد اطراداً
يأخذ بالأخف
لا يتنافيا اجتماعاً
يحمل عليهما
يحمل على أحدهما بدليل
دلالته مقتضية بطلان الآخر
ألا يقتضي بطلان الآخر
يتعين المدلول عليه للإرادة
يثبت حكم المدلول وأنه المراد ولا يسقط المعنى الآخر ويكون جائزاً
ما ترجح بدليل من خارج أثبت حكماً من الآخر

ينزل قوله ﷺ: " من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار" على قسمين:

أحدهما: **تفسير اللفظ** لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة لسان العرب.

الثاني: حمل اللفظ المحتمل على **أحد معنييه** لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم:

١. علم العربية واللغة والتبحر فيها.

٢. علم الأصول ما يدرك به (حدود الأشياء وصيغ الأمر والنهي والخبر والمجمل والمبين والعموم والخصوص والظاهر والمضمر والمحكم والمتشابه والمؤول والحقيقة والمجاز والصريح والكناية والمطلق والمقيد)

٣. علوم الفروع ما يدرك به استنباطاً والاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه[١] .

ما معنى حديث النبي ﷺ: "ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن ولكن حرف حد ولكل حد مطلع"؟

أما قوله: "ظهر وبطن" ففي تأويله أربعة أقوال:

أحدها- وهو قول الحسن-: إنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها.

الثاني- قول أبي عبيدة-: إن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين وباطنها عظة للآخرين، وقوله أقرب

الثالث - قول ابن مسعود رضي الله عنه-: إنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها.

الرابع - قاله بعض المتأخرين-: إن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها.

أما قوله: "ولكل حرف حد" ففيه تأويلان:

أحدهما: لكل حرف منتهى فيما أراد الله من معناه

[١] ومع ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا يجزم إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به فأدى اجتهاده إليه فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله

الثاني: معناه أن لكل حكم مقداراً من الثواب والعقاب

أما قوله: "ولكل حد مطلع" ففيه قولان:

أحدهما: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل إلى معرفته ويوقف على المراد به.

الثاني: لكل ما يستحقه من الثواب والعقاب مطلع يطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة.

١. قال بعضهم منه ما **لا يعلم تأويله إلا الله** لقوله: {لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض}.

٢. منه ما **يعلم تأويله** كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن وذلك إبانة غرائبه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشتركة منها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها فإن ذلك لا يجهله أحد منهم،

مثل: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} لا يجهل الفساد.

كلام الصوفية في تفسير القرآن

ليس تفسيراً وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.

مثل قول بعضهم في: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار} إن المراد: النفس، فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

قال ابن الصلاح في فتاويه: وقد وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه صنف أبو عبد الرحمن السلمي "حقائق التفسير" فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر

قال الإمام الزركشي: الظن بمن يوثق به منهم أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فقد سلكوا مسلك الباطنية.

القرآن قسمان: ما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره, وقسم لم يرد:

أولاً: ما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره

أنواعه: أن يرد التفسير عن: النبي | الصحابة | رؤوس التابعين

١. النبي ﷺ ويبحث فيه عن صحة السند.
٢. الصحابة
   - ينظر فإن فسّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم.
   - إن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه:
     - فإن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك.
     - وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ بشره فقال: "اللهم علمه التأويل" وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لقوله ﷺ: "أفرضكم زيد" فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيهما شاء.
٣. رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي ﷺ ولا إلى أحد من الصحابة فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد

ثانياً: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين (قليل)

طريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق.

النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها

بحسب **الأفراد** فمن وجوه ثلاثة:

- علم اللغة — المعاني
- علم التصريف — الهيئة
- علم الاشتقاق — رد الفروع على الأصول

بحسب **التركيب** فمن وجوه أربعة:

كيفية التراكيب بحسب الإعراب ← مؤدية أصل المعنى ← متعلق **بعلم النحو**

كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى ← أي لازم أصل المعنى ← وهو **علم المعاني**

طرق تأدية المقصود ووضوح الدلالة والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه ← **بعلم البيان**

الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ← **علم البديع**

أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن

- تفسير القرآن بالقرآن: (ما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر - ما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر).
- تفسير القرآن بالسنة: (فإنها شارحة للقرآن قال تعالى: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} ولهذا قال ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" يعني السنة.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة: (لإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب).
- النظر والاستنباط (بالشرط السابق).

ما يجب على المفسر من التحوط في التفسير: تحري مطابقة المفسَّر (النقص والزيادة والزيغ) - مراعاة الوضع الحقيقي والمجازي - مراعاة التأليف - يوافي بين المفردات وتلميح الوقائع.